جامعة
بنغازي الحديثة

مجلة جامعة بنغازي الحديثة للعلوم والدراسات الإنسانية

مجلة علمية الكترونية محكمة

Journal of Benghazi Modern University of Sciences and Humanities

العـــدد السادس

لسنة 2019

حقوق الطبع محفوظة

شروط كتابة البحث العلمي في مجلة جامعة بنغازي الحديثة للعلوم والدراسات الإنسانية

1- الملخص باللغة العربية وباللغة الانجليزية (150 كلمة).
2- المقدمة، وتشمل التالي:
- ❖ نبذة عن موضوع الدراسة (مدخل).
- ❖ مشكلة الدراسة.
- ❖ أهمية الدراسة.
- ❖ أهداف الدراسة.
- ❖ المنهج العلمي المتبع في الدراسة.

3- الخاتمة. (أهم نتائج البحث - التوصيات).
4- قائمة المصادر والمراجع.
5- عدد صفحات البحث لا تزيد عن (25) صفحة متضمنة الملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

القواعد العامة لقبول النشر

1. تقبل المجلة نشر البحوث باللغتين العربية والانجليزية؛ والتي تتوافر فيها الشروط الآتية:

- أن يكون البحث أصيلاً، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها من حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفية (النتائج) والمنهجية والتوثيق وسلامة اللغة ودقة التعبير.
- ألا يكون البحث قد سبق نشرة أو قُدم للنشر في أي جهة أخرى أو مستل من رسالة أو اطروحة علمية.
- أن يكون البحث مراعياً لقواعد الضبط ودقة الرسوم والأشكال - إن وجدت - ومطبوعاً على ملف وورد، حجم الخط (14) وبخط (Arial 'Body') للغة العربية. وحجم الخط (12) بخط (Times New Roman) للغة الإنجليزية.
- أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية.
- أن يكون البحث ملتزما بدقة التوثيق حسب دليل جمعية علم النفس الأمريكية (APA) وتثبيت هوامش البحث في نفس الصفحة والمصادر والمراجع في نهاية البحث على النحو الآتي:
- أن تُثبت المراجع بذكر اسم المؤلف، ثم يوضع تاريخ نشرة بين حاصرتين، ويلي ذلك عنوان المصدر، متبوعاً باسم المحقق أو المترجم، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الجزء، ورقم الصفحة.
- عند استخدام الدوريات (المجلات، المؤتمرات العلمية، الندوات) بوصفها مراجع للبحث: يُذكر اسم صاحب المقالة كاملاً، ثم تاريخ النشر بين حاصرتين، ثم عنوان المقالة، ثم ذكر اسم المجلة، ثم رقم المجلد، ثم رقم العدد، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الصفحة.

2. يقدم الباحث ملخص باللغتين العربية والانجليزية في حدود (150 كلمة) بحيث يتضمن مشكلة الدراسة، والهدف الرئيسي للدراسة، ومنهجية الدراسة، ونتائج الدراسة. ووضع الكلمات الرئيسية في نهاية الملخص (خمس كلمات).

3. تحتفظ مجلة جامعة بنغازي الحديثة بحقها في أسلوب إخراج البحث النهائي عند النشر.

إجراءات النشر

ترسل جميع المواد عبر البريد الالكتروني الخاص بالمجلة جامعة بنغازي الحديثة وهو كالتالي:

- ✓ يرسل البحث الكترونياً (Word + Pdf) إلى عنوان المجلة info.jmbush@bmu.edu.ly او نسخة على CD بحيث يظهر في البحث اسم الباحث ولقبة العلمي، ومكان عملة، ومجاله.
- ✓ يرفق مع البحث نموذج تقديم ورقة بحثية للنشر (موجود على موقع المجلة) وكذلك ارفاق موجز للسيرة الذاتية للباحث إلكترونياً.
- ✓ لا يقبل استلام الورقة العلمية الا بشروط وفورمات مجلة جامعة بنغازي الحديثة.
- ✓ في حالة قبول البحث مبدئياً يتم عرضة على مُحكِّمين من ذوي الاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يُعرض عليهم اسم الباحث أو بياناته، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث، وقيمته العلمية، ومدى التزام الباحث بالمنهجية المتعارف عليها، ويطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمها.
- ✓ يُخطر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال شهرين من تاريخ الاستلام للبحث، وبموعد النشر، ورقم العدد الذي سينشر فيه البحث.
- ✓ في حالة ورود ملاحظات من المحكِّمين، تُرسل تلك الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها، على أن تعاد للمجلة خلال مدة أقصاها عشرة أيام.
- ✓ الأبحاث التي لم تتم الموافقة على نشرها لا تعاد إلى الباحثين.
- ✓ الأفكار الواردة فيما ينشر من دراسات وبحوث وعروض تعبر عن أراء أصحابها.
- ✓ لا يجوز نشر إي من المواد المنشورة في المجلة مرة أخرى.
- ✓ يدفع الراغب في نشر بحثه مبلغ قدره (400 د.ل) دينار ليبي إذا كان الباحث من داخل ليبيا، و (200 $) دولار أمريكي إذا كان الباحث من خارج ليبيا. علماً بأن حسابنا القابل للتحويل هو: **(بنغازي – ليبيا - مصرف التجارة والتنمية، الفرع الرئيسي - بنغازي، رقم 001-225540-0011. الاسم (صلاح الأمين عبدالله محمد)**.
- ✓ جميع المواد المنشورة في المجلة تخضع لقانون حقوق الملكية الفكرية للمجلة.

info.jmbush@bmu.edu.ly

00218913262838

د. صلاح الأمين عبدالله
رئيس تحرير مجلة جامعة بنغازي الحديثة
Dr.salahshalufi@bmu.edu.ly

فلسفة الفلسفة عند البراجماتية - دراسة تحليلية نقدية

* د. رمضان القرنشاوى، ** د. فرج أمبارك

الملخص:

يتناول هذا البحث مفهوم الفلسفة، ووظيفتها ، وعلاقتها بالعلم والقيم ، ثم تطورها من المفهوم التقليدي الى معناها في عالمنا المعاصر ، خاصة عند أصحاب المدرسة البراجماتية ، وقد جاء البحث في ثلاث محاور: الأول تناولنا فيه معنى الفلسفة ، ووظيفتها ، وعلاقتها بالعلم والقيم في العالم القديم ، المحور الثاني: تناولنا فيه تطور مفهوم الفلسفة من المعنى التقليدي الى مفهومها في عالمنا المعاصر ، أما المحور الثالث: فتناولنا فيه معنى الفلسفة ووظيفتها وعلاقتها بالإنسان عند أصحاب المدرسة البراجماتية .وقد انتهينا فى هذه الدراسة إلى بعض النتائج منها أن الانتقال من المثالية والواقعية إلى البراجماتية هو انتقال من الأمس إلى الغد ، انتقال من فلسفة غايتها محبة الحكمة ، والبحث عنها الى فلسفة تدرس الأفكار ليست كوسيلة للمعرفة بل أداة لتحقيق منفعة ، وترى البراجماتية ضرورة التطبيق العام لمناهج العلم في كل ميدان ممكن من ميادين البحث حيث انه الوسيلة الوحيدة القادرة على حل مشكلات الديمقراطية الصناعية ، ولا فرق هنا بين اقتصاد ، أو تربية ، أو دين ، أو اخلاق ، أو سياسة ، فالفلسفة عند البراجماتية في حقيقتها منهج ، لا يعنيه أن يقدم حقائق جديدة بقدر ما يقدم منهج يطبق فى كل موضوع ، والأفكار عندها زرائع ، تتزرع بها في توجيه السلوك وضبطه توجيها وضبطا يحقق للإنسان غاياته المنشودة ، فمهما تكن الفكرة فهي تتضمن خطة العمل ، كما ترفض البراجماتية الرجوع الى معيار معين تقاس به القيم وتفترض عدم الثبات في القيم والمعايير ، بل تستوجب – ضرورة تغييرها لتلائم الظروف القائمة ، وعلى ذلك فكل فرد في نظر البراجماتية مسئول أمام المشكلة التي تعترضه ، مسئول عن حلها ، وقد جعلت البراجماتية للفرد وظيفة عملية أكثر منها أبستمولوجية ، فالعقل الفردي مهم ، لأنه أداة التعديلات في التقاليد والنظم ، والسبيل إلى الإبداع ، والبراجماتية أيضا مذهب يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار انما هو في قيمة عواقبها عملا ، وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة ، وأن صدق قضية ما كونها مفيدة ، والبراجماتى بوجه عام وصف لكل من يهدف الى النجاح ، أو الى منفعة خاصة .

Summary.

This research deals with the concept of philosophy, its function, and its relationship to science and values, then its development from the traditional concept to its meaning in our contemporary world, especially among the owners of the pragmatic school. The research came in three axes: The first dealt with in it the meaning of philosophy, its function, and its relationship to science and values in the ancient world The second axis: We dealt with in it the development of the concept of philosophy from the traditional meaning to its concept in our contemporary world, while the third axis: we dealt with in it the meaning of philosophy and its function and its relationship with mankind among the owners of the pragmatic school. We have finished this study to some results, including that the transition from the Idealism and realism to pragmatism is a transition from yesterday to tomorrow, a transition from a philosophy that aims to love wisdom, and searching for it to a philosophy that studies ideas not as a means of knowledge but as a tool for achieving benefit, and pragmatism considers the necessity of general application of science curricula in every possible field of research as it is the only means Able to solve the problems of industrial democracy, and there is no difference here between economics, education, religion, ethics, or politics. Philosophy in pragmatism is in fact a method, it does not mean to present new facts as much as it provides a method applied in every topic, and ideas have plantations , Are planted in directing th Lock and set it as a directive and a setting that achieves the desired goals for the human being. Whatever the idea is, it includes an action plan. Also, pragmatism refuses to refer to a specific standard by which values are measured and assumes instability in values and standards, but rather requires - the necessity of changing them to suit existing conditions, and accordingly everyone in the view of pragmatism Responsible to the problem it faces, responsible for solving it, and has made the pragmatism of the individual a more practical than an epistemological function, because the individual mind is important, because it is a tool for modifications in traditions and systems, the path to creativity, and pragmatism is also a doctrine that believes that the criterion of honesty of opinions and ideas is in the value of consequences A job, and that knowledge of the tool to serve the demands of life, and that the sincerity of a case being useful and pragmatic in general description of each is aimed at success, or to a private benefit.

ـ المقدمة:

يتناول هذا البحث معنى الفلسفة عند البرجماتية ويكشف عن مدى تطور مفهوم الفلسفة من معناها التقليدي الى معناها عند أصحاب هذه المدرسة ونتسائل هل انتهت الفلسفة التقليدية عن ممارسة وظائفها التي وضعها القدماء ، وهل انتهت وظيفتها بإعتبارها تفكير نظري مجرد ؟ ما مفهوم الفلسفة ، وكيف تطور الفكر الفلسفي وكيف ارتبط هذا الفكر بالعلم ، ما وظيفة الفلسفة ؟ وما علاقتها بالمجتمع ؟ الى غير ذلك من تساؤلات .

وقد تتطلب هذا الموضوع الاستعانة ببعض المناهج العلمية منها المنهج التحليلي والمنهج النقدي والمقارن .

وقد جاء هذا البحث في ثلاث محاور :

المحور الأول: يتناول معنى الفلسفة ووظيفتها وعلاقتها بالعلم والقيم عند أصحاب الفلسفات القديمة .

المحور الثاني : يتناول تطور مفهوم الفلسفة من المفهوم التقليدي الى معناها في عالمنا المعاصر

أما المحور الثالث والأخير فيتناول معنى الفلسفة ووظيفتها وعلاقتها بالإنسان والمجتمع عند البراجماتية .

المحور الأول : مفهوم الفلسفة في العصر اليوناني والوسيط

بداية نتسائل: هل تنبع الفلسفة من الدهشة – كما قال افلاطون – أم من التعجب الذى اتخذ منه البعض صورة السؤال الميتافيزيقي الأساسي : لم كان وجود ولم يكن بالأولى عدم ؟ أهى تعبير عن رجفة الإنسان أمام الموت ، والألم ، والشر ، والعذاب ، والمحال ؟ أم عن غربيته في العالم وغربة العالم في عينيه ؟ هل تصدر عن تجربته الأليمة حين يحس الهاوية التى تفصل الأنا عن الأنت، هل تأتى من حيرته من فعله وسلوكه وتساؤله عن معناه ، أم أن الانسان حيوان ميتافيزيقي (شوبنهور) تدفعه الحاجة والفطرة لطرح أسئلة لا يمكنه أن يجيب عليها ، ولا يمكنه كذلك أن يتخلى عنها (كانط) ؟ أهي السؤال – المنهجي العقلي – عن مشكلات تعذبه ، أم أن مهمتها الوحيدة هي علاج الفيلسوف نفسه من الفلسفة (فنجنشتين) أهي عقيدة عقلية

(أيديولوجية) تحمل في يدها الحلول وبرامج الاصلاح ؟ أم هي الداء الذى يتصور أنه الدواء ؟ هل الفيلسوف هو ضمير العصر المثقل بالذنب ؟ أم هو الحكيم البصير والمتخصص في الكل والعام ؟ أتكون الفلسفة في النهاية هي عصرها معبرا عنه بالأفكار وتكون مهمتها هي تحليل ثقافته ونقدها ووضعها في نسق عقلي موحد ، أم أصبحت في عصر العلم الذى نعيش فيه ترفا لا داعي له ، وأخيرا هل هي تعلم الموت ؟ أم تعلم الحياة ؟ (1)

قد تكون تلك التساؤلات هي التي ورددت على لسان الكثير من الفلاسفة ولم يجد الكثير منهم اجابة شافية حول طبيعتها ، نعم لقد بدأت الفلسفة عند القدماء من البحث النظري الحر في مبدأ الوجود ، ومعرفة المثل الخالدة والأسباب الاولى والأخيرة للموجود بما هو موجود ، والسعي الخالص – يدفعه الحب الى الحكمة والفضيلة والسعادة لتصل مع المحدثين والمعاصرين إلى (العلم الكلى) الذى يحيط بكل شيء وينظم كل شيء ونظرية المعرفة العقلية الى تحدد شروطها وأشكالها الأولية .(2)

في الواقع وفى ضوء ما سبق نصل الى استحالة الوصول الى تعريف جامع يحدد ماهية الفلسفة ورسالتها والغاية منها ، ولا بد أن نسلم أمام هذه الكثرة من التعريفات بأن الفلسفة "مفهوم عام " يصدق على جهود عقلية متنافرة أشد التنافر ، وإن كان يجمع بينها الاهتمام بالسؤال عن المشكلات الكبرى للوجود ، والمعرفة ، والسلوك ، والارادة والقيمة ، أو الاتجاه الى التفسير الشامل للعالم ، أو تفسير طبيعة الانسان ووضعه بين الكائنات ووعيه بذاته ومستقبله ومصيره .

ويمكن القول ايضا اننا يمكن ان نستخلص أيضا من كل هذه التعريفات انها كلها تتفق فى أمر واحد : وهو أن من أهم مميزات الفلسفة الرغبة الطبيعية فى طلب المعرفة لذاتها ، وهذه الفكرة قد ظهرت فى القرون الوسطى أيضا حيث أطلق اسم الفلسفة على كل علم يصل اليه العقل بطريق النظر الفكري في مقابله العلم الإلهي الذى يصل اليه الإنسان بطريق الوحى ، وهكذا صار معنى الفلسفة العلم العقلي المنظم . (3)

ويؤكد لنا هذا المفهوم أيضا " القديس اوغسطين " حيث رأى أن الفلسفة المسيحية عبارة عن مهمة نظرية خالصة أكثر مما هي نوع من أنواع الفلسفة من حيث إن الاختلاف الجوهري بينها وبين جميع المدارس الفلسفية المتنوعة التي تمثل الفلسفة القديمة يتمثل فى أنها تعتمد اعتمادا رئيسيا على الكشف التاريخي ، الذى تستوحيه من الفعل الإلهي ومن هنا يتبين أن ذلك الكشف لا يعتمد على التعاليم ، إنما هو سجل لأعمال الله وصنائعه وهذا السجل الذى يشمل تلك الأفعال كلها هو الإنجيل ، وعلى هذا فإن أوغسطين لم يميز في مفهومه لاصطلاح الفلسفة بين الكشف أو الوحى الذى يعتمد على الإيمان ، وبين المعارف التي يتم التوصل إليها بواسطة العقل. وما الفلسفة عند اوغسطين الا نشاط عقلاني يهدف الى مساعدة الانسان للوصول الى السعادة (4)

ومن جهة أخرى نجد أن مفهوم الفلسفة لم يتغير كثيرا عن الفلسفات السابقة ، واذا نظرنا الى تعريف الفلسفة فى مفاتيح العلوم نجد أنها " مشتقة من كلمة يونانية وهى فيلاسوفيا وتفسيرها محبة الحكمة فلما أعربت قيل فيلسوف ثم اشتقت الفلسفة منه ، ومعنى الفلسفة علم حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح وتنقسم قسمين : أحدهما الجزء النظري ، والآخر الجزء العملي ، ومنهم من جعل المنطق جزءا ثالثا غير هذين ، ومنهم من جعله جزءا من أجزاء العلم النظري ، ومنهم من جعله الة للفلسفة ، ومنهم من جعله جزءا منها وآلة لها "(5)

ونتبين هنا أن الفلسفة ووظيفتها لا تخرج عن محبة الحكمة والعلم بحقائق الأشياء ، فغاية الفلسفة البحث عن العلل البعيدة ومحاولة الكشف عن أصل الموجودات وهذا القسم هو ما يطلق عليه القسم النظري، بينما القسم العملي فينقسم الى ثلاثة اقسام ، احدهما تدبير الرجل نفسه ويسمى علم الاخلاق والثاني تدبير الخاصة ويسمى تدبير المنزل والثالث تدبير العامة وهو سياسة المدينة والامة والملك . (6)

وقد كانت الفلسفة عند القدماء مشتملة على جميع العلوم وهى قسمان كما تبينا فيما سبق وقد ذهب ديكارت الى أن الفلسفة أشبه بشجرة جذورها علم ما بعد الطبيعة وجذعها علم الطبيعة وأغصانها العلوم الاخرى كالطب وعلم الميكانيكا ، وعلم الأخلاق ، وتتميز الفلسفة بعدة صفات منها الشمول ، والوحدة ، والتعمق في التفسير والتعليل ، والبحث عن الأسباب القصوى والمبادئ الاولى لذلك عرفها ارسطو " بأنها العلم بالأسباب القصوى ، أو علم الوجود بما هو موجود ، أما ابن سينا فقد عرفها بأنها " الوقوف على حقائق الأشياء كلها على قدر ما يمكن الانسان أن يقف

عليه ، وهى كما قال الجرجاني " التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية . (7)

وقد ترتب على اختلاف الفلاسفة في تعريف الفلسفة نفسها اختلافهم أيضا في تصنيف علوم الفلسفة ، فكما يصعب تقديم تعريف متفق عليه للفلسفة بينهم يصعب أيضا أن نقدم تصنيفا واحدا للعلوم الفلسفية يحظى باتفاق الجميع ، فحسب تغير معنى الفلسفة اتساعا وضيقا ومن عصر الى آخر تعددت تصنيفات العلوم الفلسفية تبعا لذلك ، وبينما يرى أفلاطون أن الفلسفة ثلاثة أقسام رئيسية : علم الجدل ويشتمل الفلسفة النظرية من منطق وميتافيزيقا – العلم الطبيعي – علم الأخلاق ، نجد أرسطو يميز بين العلوم النظرية والعلوم العملية والعلوم الشعرية ، فالنظرية غايتها المعرفة ، والعملية غايتها المنفعة ، والشعرية موضوعها الفن ، ولم يدخل ارسطو المنطق في تصنيفه للعلوم النظرية ، بل جعله أداة لها وقد تأثر فلاسفة الإسلام بتصنيف أرسطو للعلوم الفلسفية ، وإن أضافوا بعض التعديلات التي اختلف الباحثون المعاصرون في تقويمها .(8)

ومع تقارب مفهوم الفلسفة بين اليونان والمسلمين الا انه يلاحظ أن هناك بعض الخصائص التي تميزت بها الفلسفة الإسلامية عن غيرها أثرت بالتالي على معنى الفلسفة عندهم فأصبحت الفلسفة عندهم تأويل عقلي للوجود في حدود الطاقة البشرية ، يتم التعبير عنه بلغة دقيقة خاصة ، وإعتبر فلاسفة الاسلام أن الفلسفة فى جوهرها فاعلية عقلية ومنهج في التساؤل ، كما أن الوعى بمناهج التفلسف وأدواته بما فيها من تحليل لغوى ، وضبط للاصطلاح ، وإتقان لصنعة الاستدلال والالتزام بهذا كان ولا يزال هو السبيل لإزالة الغموض في الموقف الفلسفي .

وقد تطور مصطلح الفلسفة فى العصور الحديثة ليطلق على دراسة المبادئ الاولى التي تفسر المعرفة تفسيرا عقليا كفلسفة العلوم وفلسفة الأخلاق وفلسفة التاريخ ، وقد تطلق على كل معرفة تامة التوحيد ، بخلاف المعرفة العملية المشتملة على توحيد غير تام ، وتطلق أيضا على مجموع الدراسات المتعلقة بالعقل من جهة ما هو متميز عن موضوعاته ، أو من جهة ما هو مقابل الطبيعة (9)

ومع تطور معانى الفلسفة من عصورها القديمة الى العصر الحديث الى أن معناها لم يتغير كثيرا حيث أصبح يدور حول الاستعداد الفكري الذى يجعل صاحبه قادرا على النظر الى الأشياء نظرة متعالية وبهذا المعنى تكون مرادفة للحكمة .(10)

ويمكن القول أن معانى الفلسفة منذ بداية تاريخها انحصرت في بعض التعريفات عبر عنها فلاسفة اليونان كما يلى : الفلسفة هي البحث عن المبادئ والأسباب الاولى ، الفلسفة هى العلم بالموجود بما هو موجود ، الفلسفة هي السعي الى الموت أو تعلمه ، الفلسفة هى تأمل الحقيقة ، الفلسفة هى التشبه بالله أو (الالهي) بقدر الطاقة. (11)

وتظهر هذه التعريفات ايضا بأن الفلسفة هي العلم الدنيوي ، أو العلم بالأمور الحادثة ، فإنه كان من الطبيعي على الذين آمنوا بالفلسفة ألا يسلموا بغير مسائل العالم موضوعا ينفذ اليه العقل البشرى بنور فكره، بل أن النهضة الحديثة في الفلسفة لم تغير هذه الفكرة تغييرا ظاهرا وكل ما هنالك من فرق هو أن العلوم المتصلة بالكون أو " العالم الطبيعي " قد زادت قيمتها في هذا العصر، وأن العلماء أصبحوا أميل إلى اعتبار العقل وحده الأداة التي يكتسب بها العلم الحقيقي.(12)

ويذكر الدكتور توفيق الطويل أن "فيثاغورث 497ق. م " أول من استخدم لفظ الفلسفة بمعنى " البحث عن طبيعة الأشياء . (13)

وقد اهتم طاليس وأقرانه من فلاسفة اليونان " الطبيعين الأوائل " بتفسير الوجود والوقوف على طبيعته واستخدموا في ذلك منهج عقلي اصطنعوه وأقاموه على التعليل المنطقي والبرهان العقلي ومع هذا سموا بالحكماء أي الباحثين عن طبائع الأشياء أو حقائق الموجودات ، فأصبحت مهمة الفلسفة البحث عن طبيعة الموجودات ، ومن هنا عرف "أرسطو " الفلسفة بأنها البحث عن الوجود بما هو موجود وسماها بالفلسفة الاولى تمييزا لها عن الفلسفة الثانية وهى عنده العلم الطبيعي .(14)

وقد اختار ارسطو مصطلح الحكمة بدلا من الفلسفة لأنها تبحث فى العلل الاولى اطلاقا ، كما أطلق على الفلسفة العلم الالهي لان اهم مباحثها هو الله باعتباره الموجود الاول والعلة الاولى للوجود وقد اطلق ارسطو على الفلسفة "العلم "بأعم معانيه (النظري من طبيعيات ورياضيات والاهيات - والعملي – من أخلاق وسياسة واقتصاد) ، واعتبر الفلسفة بمعناها الضيق بما بعد الطبيعة ، أي الميتافيزيقا وهو علم الموجودات بعللها الاولى ، أو علم الوجود بما هو كذلك مجردا عن كل تعين . (15)

وعلى ذلك لم يخرج معنى الفلسفة عن مفهوم البحث النظري المجرد وهو جهد عقلي يستهدف الكشف عن حقيقة جديدة ، أو نزوعا عقليا يدفع اليه الشعور بالجهل ، وتبعث عليه اللذة العقلية ، ولا تسوق اليه مطالب عملية ولا معتقدات دينية ، وبهذا المعنى اطلق على لفظ الفلسفة علم ومن ثم قيل أ، العلم والفلسفة قد صدرا عن أصل واحد ، واقترن أحدهما بالآخر حتى افترقا في مطلع العصر الحديث كما سنتبين .

أما مفهوم الفلسفة في العصر الوسيط فقد استمرت الفلسفة بنفس المعنى والهدف الذى يبحث عن معنى الحقيقة بالرغم من تفرقتهم بين نوعين من المعرفة ، المعرفة العقلية والمعرفة الدينية التي نزل بها الوحى الالهي ، الا أن أخص ما كان يميز الفلسفة في ذلك العصر هو محاولة التوفيق بين الوحى والعقل ، الدين والفلسفة ، الحكمة والشريعة ، والبرهنة على أن الحقائق الموحى بها من الله ليست الا تعبيرا عن العقل ، ومن ثم كان الايمان ضروريا للعقل وشرطا لصحة التفكير .

وهناك من فلاسفة العصر الاسلامي من ربط بين العقل والدين واعتبرهما متفقان في الهدف والكشف عن الحقيقة بل ان الدين كما جاء يشتمل على كثير من الآيات التي ترفع من قيمة العقل والفلسفة .ويؤكد "الكندي ت 256ه "مدى ارتباط الفلسفة بالدين وذلك من خلال تعريفها ووظيفتها حيث يقول " إن أعلى الصناعات الإنسانية منزلة وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة التي حدها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الانسان ، لان غرض الفيلسوف في علمه إصابة الحق وفى عمله العمل بالحق." (16)

ويضيف الكندي بقوله " وأشرف الفلسفة وأعلاها مرتبة الفلسفة الأولى ، أعنى علم الحق الأول الذى الذي هو علة كل حق ولذلك يجب أن يكون الفيلسوف التام الأشرف هو المرء المحيط بهذا العلم الأشرف.(17)

وعلى كل حال يمكن القول أن الاتجاه التقليدي في الفلسفة استمر فترة كبيرة لدرجة أن بعض المعاصرين تأثروا به رغم ما تعرض له من نقد في القرون الأخيرة وهو الاتجاه الذى يعنى بالبحث العقلي عن " طبائع الأشياء وحقائق الوجود ، وقد لا يدفعه إلى ذلك سوى حب المعرفة ولذة الكشف عن الحقيقة وقد يكون وراء ذلك مطلب عملي أ و غرض آخر ، وفى هذا الاتجاه تنزع الفلسفة الى معرفة طبيعة العالم وبيان مكانة الإنسان فيه ، أو كما يعبر أحد المعاصرين أن الفلسفة محاولة يراد بها فهم الوجود ومعرفة أنفسنا وإدراك مكاننا من الوجود ، لأسباب عقلية نظرية أو أغراض عملية مادية . (18)

ويمكن القول أن مفهوم الفلسفة بهذا المعنى قد ساد فى العصرين القديم والوسيط وأوائل الحديث حتى ظهور الوضعيين. (19)

وقد عمد هذا الاتجاه الى بناء تصور شامل للكون والحياة والإنسان ، واتخذ العقل أداة أساسية لبناء هذا التصور، وقد إحتلت الميتافيزيقا مكانا أصيلا فى هذا البناء الشامل ، وكان الباعث لهذا الاتجاه هو لذة المعرفة ، والتطلع لإدراك حقيقة الوجود ومعنى التجربة الإنسانية .

المحور الثاني : تطور مفهوم الفلسفة:

وقد تطور مفهوم الفلسفة عند الاتجاه الوضعي وأصحابه من أتباع " أوجست كونت 1857" حيث انتقدوا الفلسفة بمعناها التقليدي وأصبحوا لا يهتمون إلا بالواقع المحسوس الخاضع للملاحظة والتجربة واعتبروا كل قضية لا تدل على شيء يمكن إدراكه بالحس وإخضاعه للتجربة قضية غير ذات موضوع ، ومنها القضايا الميتافيزيقية ، كما أنكروا على الفلاسفة إسرافهم في الطموح وتطلعهم لمعرفة حقائق الأشياء وجواهر الموجودات وذهبوا الى القول بأن الفلسفة بمعناها التقليدي قد اختفت وتلاشت ، وأن العلوم الجزئية التي تستخدم المناهج التجريبية وتدرس الواقع المحسوس قد استوعبت مجال هذه الفلسفة بحث لم تترك لها موضوعا للبحث (20)

وفى القرن الحالي ظهرت مجموعة من الوضعيين المناطقة ينطلقون من الموقف الوضعي الذى سلف بيانه ، ويحددون مهمة الفلسفة بأنها مجرد منهج للبحث هدفه التحليل المنطقي للغة التي نستخدمها في حياتنا العادية ، أو يستخدمها العلماء فى بحوثهم العلمية رغبة في إزالة اللبس والغموض الذى يعترى الأفكار ، فعرف بعضهم الفلسفة بأنها توضيح الأفكار توضيحا منطقيا ، وأنها لاتعدوا أن تكون مجرد تحليلات لتركيبات لغوية . (21)

وقد لخص استاذنا "توفيق الطويل" مفهوم الفلسفة ومدى تطورها ومعناها وبيان مهمتها فى عالمنا المعاصر فيما يلى :

1- استمرار الاتجاه التقليدي الذى يجعل الفلسفة علم الوجود الكلى مع الاهتمام بتحديد مكان الانسان منه وكفالة خدمته ، أو الاقتصار على كشف الحقيقة لذاتها كما كان الحال فى الفلسفة التقليدية .
2- انكار قيام الوجود العام والانصراف عن دراسته الى البحث في الواقع المحسوس الذى يتيسر اخضاعه لمناهج البحث التجريبي كما ذهبت الفلسفة الوضعية ، أو اعتبار الفلسفة مجرد منهج للبحث يهدف الى تحليل اللغة تحليلا منطقيا كما ذهب أصحاب الوضعية المنطقية .

3- الانصراف عن النظر العقلي المجرد الذى يهدف الى كشف الحقيقة ويقتصر على مجرد المعرفة ، الى البحث الذى يهدف الى تغيير العالم وخلق مستقبل جديد للبشرية كما ذهب أصحاب الماركسية ودعاة الفلسفة البرجماتية كما سنتبين في المحور الثالث من البحث .
4- اسقاط الوجود العام من نطاق البحث الفلسفة وقصر النظر العقلي على وجود الانسان الواقعي المشخص ، والاهتمام بدراسة صلته بالكون وعلاقته بالآخرين كما ذهبت الفلسفة الوجودية .(22)

ويمكن القول أن مدار البحث فى الفلسفة التقليدية اهتم بالبحث في طبيعة الوجود والبحث عن العلة الاولى ، وأيضا اهتم بالكشف عن حقيقة النفس الانسانية ، واتجه المحدثون من أتباع هذه الفلسفة الى دراسة الوجود من خلال المعرفة ، فاحتل مبحث المعرفة عندهم مكان الصدارة وتراوح هدف البحث الفلسفي بين كشف الحقيقة لذاتها – فيما ذهب أفلاطون وأرسطو ومن جرى مجراهما وخدمة الانسان وتيسير حياته فيما ذهب بيكون وديكارت ومن احتذى حذوهما وعرفت الفلسفة باعتبارها محاولة يراد بها فهم الوجود ومعرفة أنفسنا وادراك مكاننا من الوجود لأسباب عقلية نظرية أو إراض عملية مادية ، فالفلسفة مجرد محاولة للفهم المستنير .

واتجهت الفلسفة عند المحدثين عامة الى البحث في المعرفة، معرفة الوجود توطئة لفهم طبيعتها وتحديد أدواتها والاطمئنان إلى مدى إمكانها، وجعل البعض المعرفة شاملة لمبحث الوجود، فتناولوا الوجود من خلال المعرفة، فاتصلت المشكلة الوجودية بالمشكلة الأبستمولوجية.(23)

وعلى كل حال نستطيع أن نؤكد أن البحث الفلسفي من قديم الزمان كان مداره الوجود والمعرفة ، واستمر هذا الاتجاه قائما فى الفلسفة التقليدية عند المحدثين وبعض المعاصرين ، إلا أن مجال البحث الفلسفي قد تغير مفهومه فى الفلسفة المعاصرة واتجه الى وجود الانسان وتيسير حياته كما سنرى بالتفصيل عند البراجماتية ، نعم لقد اتجه التفلسف من مبحث الوجود العام الى وجود الانسان الخاص وظهرت اتجاهات جديدة فى مفهوم الفلسفة أهمها إنكار قيام الوجود والانصراف عن دراسته الى البحث فى الواقع المحسوس الذى يتيسر إخضاعه لمناهج البحث التجريبي كما ذهبت الفلسفة الوضعية ، أو اسقاط الوجود العام من نطاق البحث الفلسفي ، وقصر النظر العقلي على وجود الانسان الواقعي المشخص والاهتمام بدراسة صلته بالكون وعلاقته بالآخرين كما ذهبت الفلسفة الوجودية ، أو ما ذهب اليه البعض بإعتبار الفلسفة مجرد منهج للبحث يهدف الى تحليل اللغة منطقيا كما عند أصحاب الوضعية المنطقية ، أو الانصراف عن النظر العقلي المجرد الذى يهدف إلى كشف الحقيقة والاقتصار على مجرد المعرفة ، الى البحث الذى يهدف الى تغيير العالم وخلق مستقبل جديد للبشرية ، كما عند أصحاب المادية الجدلية ودعاة الفلسفة البرجماتية كما سنرى بالتفصيل .(24)

نعم لقد شارك الوضعية في نقد الفلسفة التقليدية اتجاه جديد يتمثل فى الفلسفة العملية وهى التي نشأت في أمريكا في مطلع القرن العشرين على يد ثلاثة من المفكرين هم "تشارلز ساندرز بيرس 1914"، و"وليم جيمس 1910 "، "وجون ديوي 1952 "حيث اتفقوا على توجيه العقل الى العمل دون النظر ، واعتبار المعرفة أداة للعمل المنتج ، فانصرف التفكير عن المبادئ ، والاوليات الى النتائج والغايات ، وأصبح صدق الفكرة يعنى التحقق من منفعتها بالتجربة .

المحور الثالث : فلسفة الفلسفة عند البراجماتية (جون ديوى نموزجا)

تبينا فيما سبق أن الفلسفة عند" ارسطو " تعنى البحث في الوجود بما هو وجود بالإطلاق ، أو هي البحث في طبائع الأشياء وحقائق الموجودات ، رغبة في معرفة العلل البعيدة والمبادئ الاولى ، وجعل" ارسطو" غاية البحث الفلسفي كشف الحقيقة لذاتها بصرف النظر عما يترتب عليها من نتائج وآثار ، وعلى نهجه جرى الكثيرون من الفلاسفة قديما وحديثا فتميزت الفلسفة عندهم بأنها فلسفة وجودية .(25)

مما لاشك فيه أن معنى الفلسفة وطبيعتها وهدفها أصبحت موضوع نزاع دائم ولا يوجد اليوم إجابة شاملة مقبولة عن طبيعتها وهدفها ، فالبعض قبلوا وجهة النظر القديمة ، والبعض حاول أن يطابق بين الفلسفة والمنطق ، واعتبر بعضهم الفلسفة تحليل للعلم ، بينما اعتقد البعض الآخر أن الفلسفة بحث فلسفي عام جدا ، وحدد البعض مهمة الفلسفة فى الوصف العام للظواهر ، ورأى بعضهم الفلسفة بإعتبارها المفتاح لتحديد مدلولات اللغة اليومية عن طريق تحليل المعنى ، ورأى البعض الآخر أن مصطلح الفلسفة لم يعد له معنى يمكن الدفاع عنه ، والسؤال ما مفهوم الفلسفة عند البرجماتية وما موقفهم من الآراء والفلسفات السابقة وما وظيفتها .

ظهور البرجماتية والملامح التي ساعدت في تطورها :

جاء فى المعجم الفلسفي بالفرنسية (pragmatism) وبالإنجليزية (pragmatism) والبراجماتية اسم مشتق من اللفظ اليوناني (pragma) معناه العمل ، وهو مذهب فلسفي يقر أن الفعل لا يبلغ غايته الا اذا قاد صاحبه الى العمل الناجح ، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة ، أي الفكرة التي تحققها التجربة ، فكل ما يتحقق بالفعل فهو الحق ، ولا يقاس صدق القضية الا بنتائجها العملية . (26)

وتعرف البراجماتية بأنها مذهب يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار انما هو فى قيمة عواقبها عملا ، وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة ، وأن صدق قضية ما كونها مفيدة ، والبراجماتى بوجه عام وصف لكل من يهدف الى النجاح ، أو الى منفعة خاصة . (27)

لقد تأثر البرجماتيون ببعض الأفكار ساهمت فى نشأتها وتطورها حيث تأثر أصحاب هذا الاتجاه بالمنهج العلمي ، والنزعة التجريبية الفلسفية ، والبيولوجيا التطورية ، والمثال الديمقراطي وأصبحت هذه العناصر تشكل نسيج " الاشكالية " التي أبرزتها المشكلات الفلسفية للبرجماتية الأمريكية وشكلت إطار العمل الذى تناولتهم مصطلحاتهم والحلول المقترحة لها والتي على اساسها يتم الحكم عليها ، لقد تكون هذا النسيج من هذه العناصر التي أثرت بدورها على معظم انصار البرجماتية .(28)

وجهت البرجماتية نقدها الى الفلسفة التقليدية – واقعية كانت أم مثالية حيث رفضت البرجماتية فكرة وجود صور عقلية في أذهاننا ، فوجود هذه الصور أو عدم وجودها لا يقدم ولا يؤخر في الحقيقة الواقعية ، كما لا يؤثر اطلاقا في طبيعة الأشياء نفسها ، وانما من الواجب السعي لامتلاك الحقيقة الفعلية والاستفادة منها عمليا وقررت أن معيار الحقيقة ليس الحكم العقلي ، وانما السلوك العملي النافع ، وقد ميز" جيمس " أحد رواد الفكر البرجماتي بين نوعين من الصدق في القضايا : صدق قائم على مدى تطابق القضية مع الواقع الخارجي ، فتكون في حالة التطابق صحيحة ، وغير ذلك كاذبة ، ثم صدق آخر قائم على السعي لامتلاك الحقيقة نفسها

والاستفادة منها عمليا ، حيث تكون القضية صادقة والفكرة صحيحة اذا أدت الى نتائج نافعة تفيد الفرد في حياته ، وتصبح الحقيقة كامنة فيما سوف تؤدى اليه من أعمال وليس في طبيعتها المجردة . (29)

إن الانتقال من الفلسفة التقليدية (واقعية - مثالية) الى الفلسفة البرجماتية هو انتقال من أمس إلى الغد ، فبعد أن كان أساس الحكم على قول ما بالصدق أو بالبطلان هو الرجوع إلى الأصل الذى بعث على تقرير ما يقرره القول ، أصبح الأساس هو **النتائج التي تترتب عليه** ، فالكلام صواب أو خطأ ، والنظرية من نظريات العلوم حق أو باطل بمقدار ما يعين ذلك الكلام ، أو هذه النظرية على ترسم طريقنا في الحياة العملية، لا بمقدار تطابقه مع الواقعة التي يصورها، أو اتساقه مع غيره من الأفكار ، وفى بيان الفرق بين نظرة الفلسفة التقليدية من جهة ونظرة الفلسفة البراجماتية من جهة أخرى ، لا تمييز في ذلك بين الشعبتين الرئيستين اللتين منهما تتكون الفلسفة التقليدية على اختلاف ألوانها ، وهما الواقعية أو التجريبية ثم المثالية ، فالقول صادق عند الأول إذا طابق العالم الخارجي على نحو ما ، أي انه نسخة من أصل موجود خارج الانسان ، وسواء جاءت هذه النسخة طبق أصلها – كما ذهبت الواقعية الساذجة – أم أصابها تحوير فى العقل – كما تذهب الواقعية النقدية فأساس الحكم على كل حال هو علاقة بين الفكرة التى نشأت عند الشخص العارف وبين الشيء المعروف الذى هو حقيقة قائمة بذاتها مستقلة بوجودها – سواء صادقة العقل الذى يعرفه أم لم يصادفه – وإذن فتحقيق القول إنما يكون بالرجوع الى ذلك الأصل الخارجي ، وأما المثالية على اختلاف مذاهبها ، فهي وان خالفت الواقعية في رأيها بوجود الشيء المعروف خارج الذات العارفة ، بأن جعلت وجود الشيء قائما في العقل الذى يعرفه ، الا أنها – كالواقعية – تحقق صدق الفكرة المراد تحقيقها بالرجوع إلى شيء سابق على وجودها ، وهو فى هذه الحالة مجموع الأفكار الأخرى ، لترى هل هناك بينها وبين تلك الأفكار اتساق فتقبلها ، أو تناقض فترفضها . (30)

وغيرت البراجماتية من هذه الفلسفة من أساسها فبدل الالتفات الى ما كان عند تحقيقنا لفكرة ما، نلتفت إلى ما سيكون بدل الالتفات إلى الماضي السابق على نشأة الفكرة المراد تحقيقها، نلتفت إلى المستقبل الذى سيعقب وجود الفكرة ويتلوها ، فهي صواب ان كانت نتائجها مما يسعف ظروف حياتنا العملية ويفيدنا في حل مشكلاتنا ، وهى خطأ إذا لم يكن لها مثل هذا الأثر .(31)

ذهب" ديوي 1952 "بأن الفكر ليس الا وسيلة أو ذريعة لخدمة الحياة فسمى مذهبه بمذهب الذرائع ، والمعتقد صواب أو حق متى ترتب عليه آثار عملية في حياتنا الواقعية ، وحاول ديوس أن يطبق منهج البحث العلمي على شتى مجالات التفكير ، ولا سيما مجال القيم في الأخلاق والجمال والسياسة وغيرها آملا في أن يؤدى هذا الى تغيير القيم بحيث تلائم ظروف الحياة ، والمنهج العلمي عنده هو الطريقة التي يصطنعها الباحث فى الخروج من نطاق الفكر الى نطاق العمل ، وبهذا أصبحت الفكرة اقتراحا لحل اشكال ، فإن وفقت فى حله كانت صوابا.(32)

والفلسفة عند ديوي تعبيرا عقليا عن الصراع الداخلي الذى يسرى في ثقافة العصر ، ومهمة الفلسفة أن تتعقب خيوط هذا الصراع الى اصوله ليضعها أمام النظر ، ومصادر القوى التى تتجاذب عقول الناس فيسهل تشخيص الداء ووصف الدواء (33)

والفلسفة في رأى " ديوي " لا تعارض العلم ، وانما هي همزة الوصل ، أو ضابط الاتصال – كما يقال اليوم _ بين نتائج العلم وضروب الأفعال الاجتماعية والشخصية التي بها تتحقق الممكنات ونشقى في سبيلها " (34)

والفلسفة عند "ديوي" نزلت من عالم المثل والتأمل الخالص الى عالم الواقع ومشكلاته، فالعقل عملية نمو مستمر ، وليس فى نظره ، سوى عضو من أعضاء الإنسان ، شأنه في ذلك أى عضو آخر مثل اليد أو الساق أو اللسان ، فهو وسيلة أو أداة ، وليس غاية في نفسه ، تلك هى وظيفة الفلسفة عند ديوي، وهى وظيفة عملية إيجابية نشيطة فعالة، لا سلبية، غايتها صلاح الفرد والجماعة، وتقدمها، أما الاستمساك بالكليات الشاملة والحقائق العامة المغرقة فى العمومية، والمثل العليا التي لاسبيل الى تحقيقها ، والمدن الفاضلة التي يحلم بها الحالمون من الفلاسفة والأدباء ، فليست في نظره من الفلسفة . (35)

يقول ديوي " وهذا الموقف يحدد الوظيفة الهامة للفلسفة في الوقت الحاضر ، إذ يجب عليها أن تبحث عن العوائق وتكشفها ، وأن تنتقد العادات الذهنية التي تقف عقبة في الطريق ، وأن تواجه الفكر صوب الحاجات المتصلة بالحياة الحاضرة ، وأن تؤول نتائج العلم في ضوء عواقبها على معتقداتها الخاصة بأغراضنا وقيمنا في جميع مراحل الحياة .(36)

وقد رأى" ديوي" أن انتهاج هذا الطريق ورفض الفلسفة بمعناها التقليدي التأملي الباحث عن الحقيقة وايمانه بهذا الطريق الجديد للفلسفة ليس سوى رغبة ملحة فى العمل على ترقية الحياة الإجتماعية وتحقيق الحرية الثقافية بأكمل معانيها وأوسعها فى ظل الحرية السياسية، والديمقراطية السليمة، والنظم الاقتصادية التى تتيح للفرد المجال للخلق والابتكار، فهو مؤمن بأن فلسفة الوسيلة كما يسميها تصلح للوصول بالإنسان والجماعات الى مثل هذه الحرية المنشودة.

إن فلسفة الوسيلة عند " ديوي " كما أطلق عليها تحارب كل شيء من شأن الجنوح إلى الجمود ، أو الى الكنوص والتراجع ، أو إقامة العراقيل في سبيل التقدم والتجدد الاجتماعيين ، أو تعطيل جهود الفرد في حل ما يصادفه من شتى مشكلات الحياة وتتجه الى تشجيع إجراء التجارب وكسب الخبرة ، والافادة منها لما فيه خير البشرية . (37)

وقد انتقد ديوي الفلسفة في ضوء علاقتها بالعلم واتساع الفرقة بينهما فيقول " ويجدر بنا أن نزكر كلمة أخيرة عن الفلسفة ، فهي كالدين قد دخلت فى نزاع مع العلوم الطبيعية ، أو على الأقل إزداد افتراق طريقها عن طريق العلوم منذ القرن السابع عشر ، وأعظم سبب لهذا الشقاق أن الفلسفة زعمت أن وظيفتها معرفة الحقيقة ، مما جعلها منافسة للعلوم لا مكملة لها ، واندفعت الفلسفة تطلب ضربا من المعرفة أعلى من المعرفة التي تمدنا بها العلوم " (38)

أما فيما يتعلق بالمعرفة فقد كان الانسان في ظل الفلسفات التقليدية يكتسب المعرفة فيتغير، لأنه يستنير من حصوله عليها ، فيصبح عارفا بعد أن كان جاهلا ، ولكنها معرفة أشبه بالحلية التي تضاف الى الشيء لتكسبه رونقا فيصلح للزينة ، أما المعرفة التي يطال بها ديوي فهي ذلك الضرب الذى يغير العالم لأنه يتدخل فيه ويغيره ، والمعرفة لا تطلب لذاتها كما هو معروف في الفلسفات القديمة ، بل لأنها تحقق الأمن والمنفعة للإنسان والمجتمع .

وينتقد "ديوي" "كانط "فيما ذهب اليه من أن المعرفة ترجع الى الذات العارفة وبين ما فى ثورته من تهافت ، وأشار الى أن فلسفته هي الثورة الحقيقية وهى الانقلاب الذى يشبه ثورة

كوبرنيق في علم الفلك ، فإذا كان "كانط " قد ارجع المعرفة الى الذات العارفة وجعلها المحور الذى تدور عليه فلسفته حيث ذهب كانط أن الأشياء ليس لها فى ذاتها حقيقة تعرف ، وإنما المعرفة تنبع من أنفسنا ، حين تصاغ الأشياء في قوالب ، أو مقولات عقلية ، وينتقد ديوي هذا الرأي ويرى أن كانط لم يفعل شيء أكثر من أنه أنزل الفلسفة من عرش التعالي في عالم منفصل الهى ، الى عرش العقل الموجود في الإنسان ، فالمعرفة مستمدة بالفطرة من هذا العقل وهى أولية سابقة على التجربة .

رفض "ديوي " هذا الرأي ورأى أن المعرفة ليست أولية ولا سابقة على التجربة ، بل أنها نابعة من التجربة نفسها ، نابعة من الخبرة ، وهى ثمرة لها . (39)

وتفضى الثورة الديوية الى نتائج كثيرة : في الفلسفات القديمة كان الذهن يقف من الأشياء الخارجية موقف المتفرج يراها من خارج ولا يتدخل في إحداثها ، ولا شأن له بتوجيهها ، أنه مجرد متفرج يسجل ما يجرى من أحداث ، ومن هنا سمى النظر نظرا ، لأنه شبيه بمن ينظر بعينه الى شيء خارجي فيدركه إدراكا محسوسا بالبصر ، دون أن يغير الحس من طبيعة الشيء الذى نبصره ، والسعيد السعيد هو الذى يتأمل الحقائق الأزلية الثابتة ، والفيلسوف الحق هو الذى يتعالى ويعيش في برجه العاجي ، لا صنعة له سوى هذا التأمل .

اما فلسفة " ديوي " فلابد من مشاركة الذهن فى مجرى الحياة ويطلق على هذه الآلة الموجهة للسلوك الصحيح " الذكاء " في مقابل العقل عند القدماء الذى لم يكن سوى آلة تنطبع فيه المعارف كما تنطبع الإحساسات في آلة البصر . (40)

ويحدد "ديوي" مهمة الفيلسوف ودوره في المجتمع فيرى أن الفيلسوف ليس صانعا، ولا فنانا، ولا عالما ولكنه فيلسوف له مهمة خاصة وميدان يختلف عن الميادين التي يختص بها الصناع أو الفنانون أو العلماء ، ويرى "ديوي" أن مجال الفلسفة ليس العالم الطبيعي ولا عالم المثل وانما مجال الفلسفة فى نظره هو الطبيعة البشرية يشتغل عليها من جميع النواحي أطفالا وشيوخا وجماعات هدفه الأساسي التربية وتطور المجتمع بالعلم .(41)

ويذهب " ديوي " الى أن العالم كله وحدة واحدة ، لا فرق بين ما هو طبيعي وبين ما هو إنساني ، فهو واحدى ويكره أي نوع من الفصل والثنائيات ، فالطبيعة معقولة ، وقابلة لأن تفهم ، إذ فيها نظام يمكن للإنسان أن يدركه ، وكما أن ديوي طالب بتغيير القول بأنها معقولة الى القول بأنها مفهومه بما يقتضى تدخل الإنسان في شأنها .

أما من حيث المنهج الذى يرتضيه " ديوي " فهو المنهج التجريبي حيث يرفض المنهج الرياضي ، ويرى أن الاعتماد على المنهج الرياضي يباعد بيننا وبين الوجود المحسوس الذى ينبغي أن نسلك له طريقا آخر هو المنهج التجريبي ويعتبره ويمثل نموذج البحث الذى يجب أن يطبق على جميع الميادين حتى الامور الإنسانية مثل علم النفس وعلم الاجتماع . (42)

ويرفض " ديوي " القيم الخلقية بإعتبارها قيم متعالية عن الوجود وأنها تنتمى الى عالم أعلى ويميل إلى ناحية الخبرة والحس بشرط تعديل هذه النظرية حتى لا تكون حسية خالصة وبحيث ترتد إلى مذهبه التجريبى أو الأداتي ، وهذا يعنى أن أحكام القيمة عنده يجب أن ينظر اليها في ضوء التفكير الأداتي .

- تعقيب:

في ختام هذا البحث توصلنا الى مجموعة من النتائج يمكن إيجازها فيما يلى :-

1- البرجماتية فلسفة فردية اعتمدت على المعايير الذاتية وتجربة الفرد والتي تعد مصدرا للقيم والمعارف .
2- قامت الفلسفة البراجماتية على جملة من المبادئ تتمثل فى كونها فلسفة تجريبية عملية ذات نزعة فردية ، تنكر الحقائق المطلقة والقيم الثابتة ، وتنظر الى المنفعة بإعتبارها المعيار الذى يقاس به المعارف والأفكار والقيم ، وتركز على المستقبل وتقاطع الماضي بكل ما فيه.
3- تتشكل التربية من مجموعة من المقومات وهى الفرد ، ونمو القدرات الفطرية فى الكائنات الانسانية ، والخبرة الذاتية .
4- تؤمن البرجماتية بالمادة والعالم الحسى الخاضع للتجربة وتهمل الغيبيات وعالم الروح .
5- المعرفة البراجماتية تقوم على التجربة والنشاط الانساني والخبرة ، كما تؤمن بنسبية القيم وعدم اطلاقها والنفع المادي للقيم .
6- تعد الفلسفة البراجماتية فلسفة مادية ذات إتجاه تجريبي متطرف والبراجماتية ما هي الا تطويرا لهذا الاتجاه .
7- البراجماتية فلسفة تركز على المستقبل وتقاطع الماضي بكل ما فيه ، فترى ضرورة تجاوز الماضي والبدء في المستقبل فهي لا تسأل عن كيف نشأت المعرفة والأفكار بقدر ما تسأل عن النتائج التي تترتب على هذه الفكرة أو تلك في عالم الواقع .
8- رفضت الفلسفة البراجماتية الفلسفة التقليدية بأتجاها المتعالي والتأملي للكون ، واعتبرت الفلسفة وسيلة وليست غاية في ذاتها .
9- الفلسفة عند البراجماتية ما هي الا تعبيرا عن الصراع الداخلي الذى يسرى فى ثقافة العصر ومهمتها تعقب خيوط هذا الصراع .
10- يرى التيار البراجماتى أن الفلسفة لا يمكن أن تستعيد مجدها وقوتها إلا إذا كفت عن معالجة مشكلات الفلسفة واتجهت الى حل مشكلات الناس التي تصادفهم في شتى نواحى حياتهم العملية والاجتماعية .
11- رفضت البراجماتية إعتبار المعرفة شيئا فطريا أو تأمليا ، وإنما هى فاعلية موجهة وهى جزء وظيفي من التجربة ، فالفكر لمجرد الفكر يكون بلا غاية ، وانما الفكر يرسم العمل .
12- الفيلسوف عند البراجماتية ليس صانعا ولا فنانا ولا عالما ولكنه فيلسوف له مهمة خاصة وميدان يختلف عم الميادين التي يختص بها الصناع والفنانون والعلماء ، ومجال الفلسفة هي الطبيعة البشرية من جهة النفس والأخلاق والسلوك الاجتماعي وعلى الفيلسوف أن يصوغ الطبيعة البشرية كما يصوغ الصناع مهنتهم من المواد المختلفة .
13- الانتقال من الواقعية الى البراجماتية هو انتقال من أمس الى الغد ، انتقال من الفلسفة التقليدية واقعية كانت أم مثالية الى الفلسفة البراجماتية ، فبعد أن كان أساس الحكم على قول بالصدق أو البطلان هو الرجوع الى الأصل ، أصبح الأساس هو النتائج التي تترتب علنه .
14- البراجماتية هى الحركة الجديدة التي تسمى بالتجريبية والتي تعترف أن العلم لا يزال في طفولته وأن المنهج العلمي لم يصل الى تمام النضوج ولن يبلغ المنهج كماله الا حين يشتمل الامور الانسانية ، ومهمة الفلسفة الاشتغال بالمشكلات الناشئة عن هذا الانفصال بين منهج مطبق على العلوم وآخر على الانسانيات ..

15- ترى البراجماتية أن للفلسفة دور هام في تأريخ الحضارة ، بل لا فرق بين الفلسفة ودورها في تاريخ الحضارة ، فاذا اكتشفنا الوظيفة الصحيحة للحضارة فقد حددنا وعرفنا دور الفلسفة ذاتها .

16- ترى البراجماتية أن وظيفة الفلسفة هي البحث في القيم لان أكثر اشتغالاتها بالإنسان وسلوكه في الحياة ، فالقيم عند ديوي هي التي تحدد قيمة الأطفال وتحدد السوك الناتج عنها .

17- للفلسفة عند البراجماتية وظيفتان : الاولى هي تنظيف بيتها من كل ما هو موروث وخاصة المذاهب الفلسفية والتي تعوق التقدم الانساني ، والوظيفة الثانية هي النقد ، ومهمة الفلسفة النقدية عند ديوي اختلفت عن الفلسفة النقدية عند كانط ، فإذا كان النقد عند كانط يقصد به النظر في امكانيات العقل البشرى وتحليله لآنه أساس المعرفة والطريق الموصل لها ، نجد أن النقد عند ديوي ، يأتي من كون العقل اداة من أدوات الخبرة ، والفلسفة بحاجة الى نقد منظم شامل للمناهج السائدة في العلوم الاجتماعية .

18- البراجماتية أو الأداتية عند ديوي محاولة لوضع نظرية منطقية دقيقة عن التصورات والأحكام والاستدلالات في شتى صورها بالنظر قبل كل شيء الى التفكير كيف يعمل فى تجديد النتائج المستقبلية تحديدا تجريبيا بهدف تكوين نظرية عن الصور العامة والاستدلال لا عن هذا الحكم أو ذلك ولذلك تبرز الأداتية أهمية الفرد وتضعه في الاعتبار الاول ، فالفرد حامل الفكر المبدع وصانع العمل .

19- تتلخص فلسفة ديوي في ضرورة التطبيق العام لمناهج العلم في كل ميدان ممكن من ميادين البحث حيث انه الوسيلة الوحيدة القادرة على حل مشكلات الديمقراطية الصناعية ، ولا فرق هنا بين اقتصاد ، أو تربية ، أو دين ، أو اخلاق ، أو سياسة ، ففلسفته في حقيقتها منهج ، لا يعنيه أن يقدم حقائق جديدة بقدر ما يقدم منهج يطبق فى كل موضوع .

20- الأفكار عند ديوي زرائع ، نتزرع بها في توجيه السلوك وضبطه توجيها وضبطا يحقق للإنسان غاياته المنشودة ، فمهما تكن الفكرة فهي تتضمن خطة العمل .

21- ترفض البراجماتية الرجوع الى معيار معين تقاس به القيم وتفترض عدم الثبات في القيم والمعايير ، بل تستوجب – ضرورة تغييرها لتلائم الظروف القائمة ، وعلى ذلك فكل فرد في نظر البراجماتية مسئول أمام المشكلة التي تعترضه ، مسائل عن حلها موفقا ، ويكون هذا الحل هو الصواب .

هوامش البحث

(1) عبد الغفار مكاوي . لم الفلسفة . الإسكندرية ، منشأة المعارف ، 1981. ص 9.

(2) نفس المرجع . ص 10.

(3) ازفلد كوليه . المدخل الى الفلسفة، ترجمة ابو العلا عفيفي . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1942. ص 10.

(4) ماهر عبد القادر محمد ، حربى عباس عطيتو . دراسات فى فلسفة العصور الوسطى. الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 2000. ص 341.

(5) الخوارزمي . مفاتيح العلوم ، تحقيق ابراهيم الابياري . بيروت ، دار الكتاب العربي ، ص153.

(6) نفس المصدر . نفس الموضع.

(7) جميل صليبا . المعجم الفلسفي ، الجزء الثاني . بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1982، ص 160.

(8) عصام الدين السيد أنس . مناهج التصنيف في الفلسفة الإسلامية ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم ، (د – ت) ص45.

(9) نفس المرجع . ص 161 وما بعدها.

(10) نفس المصدر . ص 161وما بعدها.

(11) هاينز فولكمان . مدخل الى التفكير الفلسفي ، فرانكفورت ، 1075، ص 14نقلا عن عبد الغفار مكاوي . لم الفلسفة ، مرجع سابق . ص 10

(12) أزفلد كوليه . المدخل الى الفلسفة . مرجع سابق . ص 11

(13) توفيق الطويل .ط11 اسس الفلسفة القاهرة ، دار النهضة العربية ، 1990. ص 45.

(14) نفس المرجع . ص47.

(15) نفس المرجع . ص 47 وما بعدها.

(16) الكندي .ط2 رسائل الكندي الفلسفية ، تحقيق محمد عبد الهادي ابو ريده . القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1978. ص 29

(17) نفس المصدر . ص 30 وما بعدها .

(18) حسن محمود عبد اللطيف الشافعي . المدخل إلى الفلسفة العامة . القاهرة ، دار البصائر ، 2012. ص 22.

(19) نفس المرجع . ص 22.

(20) توفيق الطويل . اسس الفلسفة . مرجع سابق . ص 56.

(21) حسن عبد اللطيف الشافعي . المدخل إلى الفلسفة العامة . مرجع سابق . ص 24، وانظر توفيق الطويل . اسس الفلسفة . مرجع سابق . ص 56وما بعدها.

(22) توفيق الطويل . اسس الفلسفة . مرجع سابق . ص 54.

(23) نفس المرجع . ص55.

(24) تشارلز مور . رواد الفلسفة البرجماتية ، ترجمة ابراهيم مصطفى . الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة . ص 27، وانظر توفيق الطويل . اسس الفلسفة مرجع سابق . ص 41.

(25) توفيق الطويل . اسس الفلسفة مرجع سابق .ص 39.

(26) جميل صليبا . المعجم الفلسفي . ص203.

(27) المعجم الفلسفي . مجمع اللغة العربية . القاهرة ، الهيئة العامة للمطابع الأميرية ، 1983. ص 32.

(28) زكى نجيب محمود . ط2 حياة الفكر فى العالم الجديد . القاهرة ، دار الشروق ، 1982. ص160 وما بعدها.

(29) سماح رافع محمد . المذاهب الفلسفية المعاصرة . القاهرة ، مكتبة مدبولي ،1973. ص 57.

(30) زكى نجيب محمود . حياة الفكر فى العالم الجديد . مرجع سابق . ص 138.

(31) نفس المرجع . نفس الصفحة.

(32) توفيق الطويل . اسس الفلسفة . مرجع سابق . ص62.

(33) زكى نجيب محمود . حياة الفكر فى العالم الجديد . مرجع سابق . ص 163.

(34) جون ديوي . البحث عن اليقين ، ترجمة احمد فؤاد الأهواني . القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، 2015 . ص 339

(35) جون ديوي . الحرية والثقافة، ترجمة امين مرسى قنديل . القاهرة، مطبعة التحرير ، 1955 ، ص ك.

(36) جون ديوي . البحث عن اليقين . مصدر سابق . ص 242-343.

(37) نفس المصدر . ص ل.

(38) جون ديوي . البحث عن اليقين . مصدر سابق . ص 337.

(39) جون ديوي . البحث عن اليقين ، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني . القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، 2015. ص 5.

(40) نفس المصدر . ص 8.

(41) نفس المصدر . ص8.

(42) نفس المصدر . ص20.